

ثورة الأدب من هيكل الى طه

اخى طه

لم تخلفنى موعدك عند ظهور كتابى (ثورة الادب) فقد عودتني اخوتك الصادقة وصادقتك الخالصة كلما ظهر لى كتاب ان تتناوله بالبحث وأن تتناولنى بالثناء . بل عودتني هذه الاخيرة أن تتناول بعض فصول كتبتي بالبحث فيها وبالثناء علي من أجلها . وتحت نظرى الآن ثلاث فصول من قلبك العذب أحدها عن كتابي ، فى أوقات الف اغ ، ، والآخر رد علي نقدي كتابك فى ، الأدب الجادلي ، ، والاخير عن الفصل الذي كتبت عن النثر والشعر والذي احتواه كتابي الجديد . وفي كل واحد من هذه الفصول كما فى غيرها من فصول ، نشرت السياسة ونشرت الاهرام من قبل هذا الثناء ، وهذا البحث الذى يسعنى بمالك من أثر فى مجهودى واتاجي بملك صاحب فضل فيه كبير . ولست أخفيك أنى مدين فى حياتي ككتاب لأشخاص كثيرين شجعونى وآزودني وعاونونى بوجيهم وبمقدمهم وبحسن توجيههم ليأى ، وأنى ما أزال بحاجة الى هذه المؤازرة والى هذا الوحى إن كان قد قدر لى أن أتيج فى الكتابة شيئاً جديداً ، ولعلى أستطيع يوماً أن أفى لأصحاب الفضل مؤلاً ، بفصل على الأقل اكتبه ، فما أستطيع اليوم أن أحصيهم وهم كثيرون . لكنك كنت وما تزال يا صديقي فى مقدمتهم كنت وما تزال كذلك حين ألقاك وأتحدث اليك ، وحين أقرؤك وأستمع بجمال ما تكتب ، وعظيم لذته ودسم غذائه ، وحين أفكر فيك وفيما أثرت فى الادب وفى تاريخ الادب العربى من ثائرات لما تهدأ . والحق أنه اذا كانت ثورة الادب مدينة فى هذا العهد الاخير لعدد غير قليل من الكتاب والادباء ، فهي مدينة لك باعنف ما فيها ، مدينة لك بأشد ما فيها طرافة . وبحسبى أن أذكر ذلك لتعلم كم يفكر فيك من فكر وما يزال يفكر فى

ثورة الأدب ، ومن يعتقد بل من يلبس هذه الثورة ويرى أنها مازال لما تهدأ ، وانها مازال تحطم وتهدم وتحاول أن تبني كما حطمت الثورة الفرنسية النظم والطبقات . ولست أحاول الرجم بما عسى أن تتمخض عنه هذه الثورة حين يستقر الأمر الى التوليد الهادى . المطمئن ، ولعل صديقنا المازنى أقدر منى على هذا الرجم .

ولست أخفيك كذلك ان فصلك عن (ثورة الادب) أثار منى ابتسامات دهشة وخجل متصاين من أوله الى آخره فقد رأيتك تصورني فيه صورة لا أعرفها لفسى ، صورة جن لا ينقطع انتاجه وأب لا ييخل على أسرته بحقها عليه ، وصديق لا يرضن على أصدقائه بحقوقهم عليه . فاست أعرف لفسى من هذا كله شيئاً . إنما انا مقصر فى حقوق أصدقائي ، أكثر من مقصر فى حق اسرتي . ثم ماذا ترانى يا صديقي انتجت ؟ ذلك من فصول يومية تكتب فى الصحف فانت اعرف الناس بتفاهة ما ينفق من مجهود فى هذه المصول . ودعك من العمل فى حزب سياسى فانت ادري بالسياسة المصرية : ما هى وما مبالغ الجد فيها . دعك من هذين وانظر واياى فيما انتجت . إنه لاشئ ، او لا يكاد يكون شيئاً . فانا رجل بيني وبين الخامسة والاربعين شهر ، وهذا انا لاخيل عندك تهديها ولا مال . فليسعد النطق ان لم تسعد الحال أم تحسب هذه الكتب القليلة مجهود جنى ؟ ان يكن ذلك فهو جنى بليد ، يطوف فى الآفاق ثم يرضى من الغنيمة بالاياب ، أو هو كما ذكرت جنى هادى . مطمئن أفاق منذ حين قصير من نوم مريح . ولالى لاأسف اذ أصف بنفسى فى ذلك على حقيقتها . وكل رجائي أن أصل من الحياة الى حظ هادى . مطمئن يكفينى بعده أن أفى لأصدقائي بحقوقهم ولأسرتي بحقها ، وألا اكون هذا الرجل المقصر الذى يمدد الناس تقصيره ويتوهونه لكثرة عمله ، وما هى كثرة العمل وانما هو تقصير من جعله الحظ مقصراً . وتذكر يا صديقي انك دهشت حين رأيتنى أعلنت عن (ثورة الادب) اعلانا أمريكيا وأنى سارعت فى اهدائي وكنت تعرفنى أشد الناس فتورا فى الاعلان والاهداء ، وتساءل ان كان الله قد رزقني غفريتا فى الاعلان ، وتكرر انك مازال دهشا لانك لم

تفهم بعد مصدر هذه السرعة في الاهداء والاعلان. واني لجد حريص على ان تزول دهشتك. فلا ذلك على هذا العفريت لذي رزقني الله في الاعلان والاهداء. هو النظام الجديد للمطبوعات والصحف. فقد تعلم ان هذا النظام يقتضى إجراءات، منها تقديم عدد من النسخ الى ادارة المطبوعات ومنها ان اية هيئة عليية أو أدبية أو دينية أو ما أدرى ماذا تستطيع أن توحى الى الحكومة فتصادر الكتاب الذي يطبع، وقد تصدر المطبعة التي طبع الكتاب فيها. ولملك لم تنس قصة كتاب الخطيب البغدادي في السنة الماضية وحسن بلانك في الافراج عنه. وقد ابتلينا نحن من قبل بشيء من هذا، حين طبعت وصاحبي المازني وعنان كتاب (السياسة المصرية والانقلاب الدستوري) فقد قدمنا منه خمس نسخ لادارة المطبوعات وأخذنا بها ايصالا وأردت بنفسى أخذ خمسمائة نسخة من الكتاب فاذا البوليس يحيطني ويقتادني وكتب الى قسم عابدين، واذا به يأمر الا ينشر الكتاب، واذا بي أضطر الى الالتجاء للائب العام والى انتظار أسبوع أو نحوه حتى يفرج عن الكتاب. أفليس من حقى وذلك ما رأيت ان أحتاط لنفسى حتى لا يقودنى البوليس والجند مرة أخرى الى القسم. فاقى لاؤكذلك يا صديقي طه ان مثل هذا الموقف ليس مما تستريح له نفسى ولا نفس أى رجل مثقف. ولتلاحظ يا صديقي أن عنوان كتابي (ثورة الأدب) .. واذا كنت مهما أثرا لا أخيفك، او كانت الثورة لا تخيفك مهما تكن، فيخيل الى ان غيرك يخاف حين أثور وان لم أر نفسى يوما فى حاجة الى أن أثور، ويخيل الى أن غيرك يخاف من كلمة الثورة كما كان الاتراك فى العهد الحميدى يخافون كلمة الثورة وكلمة الحرية ولا ياذنون بنشرها. أو نشر ما يمانها. فلكى أنقى البوليس والجند والذهاب الى القسم أعلنت الكتاب للناس وسارعت الى اهدائه أصدقائي حتى اذا صودر قبل نشره أو أصابته مصيبة من مصائب هذا العهد أكون قد تعزيت بما أهديت من بعض نسخه، وبأنى أعلنته للناس فخل بى وبه ما حل من ظلم وهضم. هذا هو العفريت الذى لم تعرف يا صديقي مصدره. ولعلى إذ دلتك عليه وذكرت لك ما أصاب كتابي (السياسة المصرية والانقلاب الدستوري) عذيرى عن خروجى على ما طبعت عليه من فتور فى الاعلان والاهداء يعادل فتورى فى حق أصدقائي وفي حق أسرتي. فان رأيتى مع ذلك بالغت فى الاحتياط فظهرت فى غير ما كان يلىق بى أن أظهر فليس لى إلا أن اعتذر اليك وأن أعدك أنى لى أعود اليها هذا عن شخصى. وما أدرى يا صديقي ما عساى أقول لك فيما كتبت عن (ثورة الأدب) لقد أثار دهشتى وأثار خجلي فما

كنت أحسبه ينال منك كل هذا التقدير، ولا كنت أحسبه جديراً به. وما عساى أقول فى تقديرك الكتاب بأنه تاريخ صحيح دقيق للادب العربى المصرى فى هذه الأعوام الأخيرة من جهة وهو فلسفة أدبية رفيعة موضوعها ادبنا الحديث من جهة أخرى، وإله كتاب تمضى فيه فيخيل اليك أنك تمضى فى كلام مألوف ولكنك لا تتكاد تفكر قليلا فيما تقرأ، او لا تتكاد تلح فى القراءة حتى يفتح لك هذا الكتاب أبوابا وبسطا مامك آفاقا ما كنت تعرفها وتفكر فيها من قبل. واذا كل شيء جديد. واذا كل شيء طريف. وإذا الكتاب يحددك ويمكر بك وان لم يرد خداعا ولا مكرًا، وان المؤلف، هو المؤرخ العربى للأدب العصرى الحديث، وانه قد فرض بذلك نفسه، لا أقول على هذا الجيل وحده، بل أقول على الاجيال المقبلة ايضا... وان كتابه هذا سيصبح من المصادر القيمة للذين يريدون ان يدرسوا ادبنا المصرى فى نهضته هذه الحاضرة (ما عساى يا صديقي أقول فى هذا كله. أقول انه كثير. وانه أثار دهشتى وخجلي. واحسب صدق مودتك واخلاص اخوتك كان لهما اثر غير قليل فى املاء هذه العبارات ومثلها عليك، كما كان لهما اثر غير قليل فيما كتبت عن شخصى :

ولملك أنت شعرت بهذا، وخشيت من أن يتهكم الناس بالاسراف فى الثناء على صديقك اسرافاً يصرفهم عن حسن الاستماع له فأردت أن تحصى عليه وعلى كتابه بعض هنات تجعلهم أدنى إلى الايمان بعدالة ثنائك. وأنت على حق فيما أحصيت من بعض الهنات وإن كنت قد أسرفت فى بعضها. فقد ذكرت أن هيكلا: «من أصحاب المعاني بين الكتاب وأنه همل لغته اهما لا شديداً وتورط فى ألوان من الخطأ واضطراب الأسلوب، يدينه أحياناً من الابتذال. والغريب أنه لا يضيق بذلك ولا يجد به بأساً ولا يمتزف بأنه يسىء إلى نفسه وإلى أدبه معاً. والحق يا صديقي أنتى لا أضيق بشيء ولا أجده به بأساً. لكنى أستأذك فى أن أوجه اليك شيئاً من اللوم غير قليل. فنحن حقاً مختلفان فى أمر اللغة والأسلوب خلافاً سائلو عليك سبيه. لكنى لم أعرف قط منك أن لغتى وأسلوبى يديانى من الابتذال. بل عرفت منك غير هذا. ولعلى لا أخطئ. إذا وضعت تحت نظرك بعض عبارات كتبها أنت فى هذا الشأن. فقد ذكرت حين كتبت فى السياسة الاسبوعية فى ١٣ مارس سنة ١٩٢٦ عن كتابى (فى اوقات الفراغ). ... كذلك كنت منذ عشرين سنة أو نحو ذلك حين كنت تكتب فى الجريدة، وكذلك أنت الآن. وإن يكن قد جد شيء فهو أنك ازددت فيما أنت فيه من القوة ثباتاً ورسوخ قدم، وانك استطعت

أن تملك اللغة العربية وتسخرها لأغراضك ، وقد كانت تستعصى عليك وتنتهي بك أحياناً إلى ما يكره سيدي والخليل ، وصديقك طه حسين . وأنت تذكر ما كان بيني وبينك من جدال متصل في هذا الموضوع . فقد كنت أتهمك بقلة البضاعة في اللغة العربية وكنت تجيبني بأنني أزهرى . وكان أستاذنا لطفي السيد يسخر منك ومنى في رفق وحان . وقد مضت أيام وأعوام وما زلت أنا أزهرى كما كنت ، أما أنت فقد أتقنت اللغة العربية اتقاناً ورضتها حتى ذلت لك . فأنت تستطيع أن تقول أنني أزهرى وأنا لا أستطيع أن أتهمك بالضعف في اللغة العربية . ولكن لكل شيء حداً . فما رأيك في أنك أتقنت اللغة العربية ، حتى لقد تسرف في هذا الاتقان وتصطنع من الألفاظ والأساليب ما يصح أن تعاب به لأنه أدنى إلى التفرع منه إلى شيء آخر . صدقتي فأنت أزهرى في بعض الأحيان . وكفى عليك من فضل أيها الصديق العاق . ما زلت أعيب لغتك حتى أصبحت شيخاً قحاً ، ... وقد ذكرت حين كتبت عن فصل الشعر والبشر في السياسة الأسبوعية بتاريخ ٩ أغسطس سنة ١٩٢٧ : « أنت لا تكتب إلا اضطرت قراءك إلى الشا والاعجاب ، وانت لا تسمع ثناء ولا تحس إعجاباً إلا ازدادت إجابة وأمعنت في الاتقان . ولست أدري إلى أين يذهب بك هذا الامعان في إجابة البحث واتقان التفكير والتوفيق إلى الجمال الفني فيما تكتب . الخ ، لم أخطئ اذ وضعت تحت نظرك هذه العبارات وما قد تذكر من مثلها لوجه اليك شيئاً من اللوم غير قليل . فمالك يا صديقي وكلنا نعرف دقة ذوقك الأدبي ، لم توجه نظري منذ تلك السنوات الطويلة إلى ما اتورط فيه من خطأ واضطراب في الأسلوب يدنين أحياناً من الابتذال . لقد كان لي أثناءها متسع من الوقت لوجه شيئاً من الجهد اسلم به من هذا الذي لم تنتهي إليه إلا اليوم . أما ولم تفعل فعلي لا أغلو يا صديقي اذا أتهمتك بأنك خدعتني كل هذه السنين وعبثت بي كل هذا العبث ، وتركتني حتى تقدمت بي السن إلى حيث لا يستطيع الإنسان إصلاح ما أفسد الدهر .

أم أن الأمر ليس كذلك يا صديقي وأنت قد ازداد ذوقك الفني دقة زادت نقدك اللغة والأساليب بأساً وشدة ، فأخرجني ذلك من حظيرة رفقك وتسامحك . إن يكن ذلك فأنت جدير من أجله بكل ثناء ، جدير بكل تقدير على ما حيأك الله بما كنت أود لو جاد على ببعض منه .

ان يكن ذلك فلا حول ولا قوة الا بالله . والله وانا اليه راجعون . فاما ان لم يكنه فلو لم شديد اباك وعتبي عليك يقضى به عليك وفاؤك لصديقك ان تراجع كتبه كلها ما ظهر منها وما قد يظهر وان تزيل منها ما قد يكون فيها من اضطراب وخطأ فان لم تفعل وجهت اليك اليوم ما وجهت أنت الى في سنة ١٩٢٦ من تهمة عقوق الصداقة وعدم الوفاء بما لها من حق .

أحسبك ستبسم حين تقرأ هذه العبارة لأنك تعلم اني لا أضيق بأسلوبي ، ولا أجد به بأساً . ولعلك يا صديقي على حق . بل انك لعل على حق . فليكن اسلوبي ما يكون فلن ارضى به بدلاً : فاسلوب الكاتب هو الكاتب . ولن ارضى لنفسى ان أكون الا انا . انا بما في من حسن وقبيح . من خير وشر . من عرف ونكر . والحمد لله الذي جعلني أنا ، ولم يجعلني شراً ما أنا . والحمد لله الذي جعل كثيرين ممن تناولوا كتابي هذا وغيره من كتبتي يعجبهم اسلوبي اكثر مما اعجبك يا صديقي .

ومالي أضيق بأسلوبي ولم اتخذ الادب يوماً صناعة ولا انا توفرت على دراسة الادب . انما انا رجل درس القانون ودرس الاقتصاد والسياسة ومال الى قراءه الفلسفة والادب لا الي دراستها دراسة انقطاع وتمحيص ، وطبيعي ان يكون اسلوبي اسلوب الذين درسوا القانون والذين يرون ان تؤدي المعاني بالفاظ لا تزيد عليها ولا تضيق بها ، والذين لا يعينهم لذلك بهرجة اللفظ للفظ ، وقد زادني حرصاً على هذا الأسلوب اني رايت مثله موضع الاطراء من طائفة من كبار الكتاب والفلاسفة . وانت لا ريب يا صديقي قد قدرت نقد دتين ، لفلسفة كوزن في احد الاجزاء الثلاثة من كتابه (رسائل في النقد والتاريخ) ورايت كيف جعل من اشد ما آخذه به انه يطيل من حيث لا تقتضي الفكرة الاطالة ، وكيف جعل ينقل الصفحة الكاملة من كوزن فيضع فكرتها في سطرين او ثلاثة اسطر . هذا الادب الذي أقر أينحو اليوم نحو هذا الأسلوب . فبعد ان كانت روايات روسو تقع في خمسمائة صفحة او اكثر نزعنا القصص شيئاً فشيئاً بأسلوبها الى الايجاز . لا في وقائعها ، ولكن في بهرجة الالفاظ التي تقص بها تلك الوقائع ، ولعل ميل العالم الحاضر الى السرعة في كل شيء هو الذي عني على الاطالة ، فل الاستماع الي الأشخاص الذين يعجبون بالاستماع الى كلامهم حين يتكلمون فيطيلون القول لتطول لهم لذة هذا الاستماع ، ومثل قراءة الأشخاص الذين يعجبون بالفاظهم حين يكتبون فيطيلون رسائلهم وكتبهم ، لعل هذا الميل الى السرعة هو الذي مال حتى بالادب الى اسلوب

القانون، وهو الذي جعل الذين درسوا القانون في فرنسا وفي مصر وفي كل أمة من الأمم يجددون في الأساليب كما يجدد فيها الذين توفروا على دراسة الأدب، أو أكثر مما يجدد فيها هؤلاء في بعض الأحيان، والفن الحديث هو الآخر ينحو هذا النحو، فالبسطة والقوة هما اليوم أساسه، ويخيل إلى أن أسلوب هذا الفن وأسلوب الأدب وأسلوب القانون قد اتفقت اليوم وقد نفت الزخرف للزخرف، وأصرت على أن يكون اللباب هو الأساس في أساليبها جميعاً. اللباب الذي يعطي القطعة الفنية طابعها والذي يقيم نظريات القانون ويحقق رسالة الأدب، اللباب الذي يقف من هذه جميعاً كالبيت المشيد من غير حاجة إلى ما تعودته القرون الماضية من زخرف عصور الرومانتسم ومن زخرف الكلاسيك أنفسهم. ولعلك توافقني يا صديقي على هذا ولا ترى رايًا غيره، وإن كان الخلاف بيننا على اللغة وعلى الأسلوب قديماً. فقد درجت أنت من ازهرتك التي اشرت إليها إلى أسلوبك الجديد، وجاهدت أنا ما استطعت الجهاد حتى وصلت إلى ما أنا اليوم لكنني أعترف يا صديقي بأنك على حق حين أخذتني بأنتي أسرع فيفوتني لذلك التحقق من بعض الشؤون، وإنك وقعت على هنة ما كان يجوز لي أن أقع فيها حين أردت أن أذكر الوديسا فذكرت الانباد. وإذا ذكرت لك أنني أنا الذي قمت بتصحيح تجارب الكتاب فقرأته عدة مرات قبل طبعه، رأيت أني أكبر جريرة. لكنني اختلف وإياك، وإن كنت لا أحسب ذلك خلافاً فيما ذكرت عن لابروير وموليير. فما أشك في أنها تأثراً بكتاب اليونان من ذكرت ومن تعرف أكثر مما أعرف لأنك درستهم دراسة خاصة. ولكنني إنما أردت أن مولير ولا بروير لم يتخذا من تاريخ اليونان والرومان إطاراً أدبهما كما فعل راسين وكورني. بل اتخذوا الحياة المحيطة بهما وتأثراً بها إطاراً أدبهما. وهذه خطوة في التحرر من آثار اليونان والرومان مهدت للخطوات التي بعدها. فإن تكن إشارتك يا صديقي إلى طائفة من الخطأ تأخذ به كتابي إنما هي إلى خطأ من هذا النوع، فلهل لا يكون خطأ. ولعلنا نستطيع أن نتفق عليه اتفاقاً على أكثر ما في كتابي من آراء، وليس شيء أحب إلي من أن أتفق وإياك وإن كنت أجد في اختلافنا لذة لا أجدها في خلاف يقع بيني وبين أحد غيرك.

وقد لاحظت يا أخي أن اشتغالي المتصل بالسياسة قد أثر في تصوري الأشياء وفي حكمي عليها بعض الشيء. وذكرت لذلك مثلي: أحدهما أنني أسرفت حين أسأت الظن. بما يكتبه الاوريون

عن حياتنا الأدبية بينما أنت تظن أن «جب»، وأمثاله لا يأخذون السياسة وأهواءها مقياساً لدراساتهم الأدبية. والثاني أنني أسرفت حين أحسنت الظن بنا وبحظنا من الخيال وقدرتنا على الإنتاج وأنا إنما فعلت ذلك لأرضي المصريين والشرقيين في الأدب كما افعل في السياسة. وإنك أنت ترى هذا شراً لأنه تغيير للحقائق العلمية أرضاء لمصر والشرق، والحقائق آثر عندك من أي شيء. ومن أي إنسان. وأنتي لا تؤكد لك صادقاً أن الحقائق العلمية آثر عندى أنا أيضاً من كل شيء ومن كل إنسان. وإذا كان اشتغالي المتصل بالسياسة قد أثر في تصوري الأشياء وفي حكمي عليها فأنما كان أثره أن زادني تقليباً للأشياء، وامتحاناً لها وتعمقاً في بحث ما نهطوى عليه وما ترمى إليه، وأنا معك في أن «جب»، وأمثاله لا يتخذون السياسة وأهواءها مقياساً لدراساتهم الأدبية. لكن دراساتهم هذه، ودراسات الكثيرين منهم على الأقل، يقصد بها أكثر الأمر إلى تنوير الساسة من أهل بلادهم، وإلى إطلاعهم على عنصر من عناصر حيوية الشرق هو في رأيهم، وهو في الواقع، أجل هذه العناصر خطراً. فإذا كانت الأهواء السياسية ليست هي التي توجه دراساتهم فدراساتهم يقصد بها في كثير من الأحيان إلى خدمة هذه السياسة وإن قصد بها كذلك إلى أغراض علمية بحثية. وما أحسبك تخالفني يا صديقي في أن كتاب «وجهة الاسلام»، الذي ألفه خمسة من كبار المستشرقين المشتغلين بالأدب الحديث في بلاد الشرق المختلفة إنما هو كتاب سياسي مداه بحث ما وصلت إليه أوروبا مما يسميه الاستاذ «جب»، تغريب الشرق، وما يرجي لهذا «التغريب»، في المستقبل من نجاح وأنا لا أعيب هؤلاء العلماء المحترمين بهذا بل أحسد لهم عليه أعظم الحسد. فهم به يخدمون أو ظاهرياً ويخدمون العلم ويخدمون الحقيقة من ناحية سياسة بلادهم ومن ناحية الحضارة الغربية التي يريدون أن تظل المدنية الحاكمة في العالم. وهذه الخدمة الجليلة التي يقومون بها لأوطانهم وللعلم ولحضارتهم حقيقة علمية يسر لي اشتغالي بالسياسة الوقوف عليها. ولو أنك اقطعت للسياسة يا صديقي انقطاعي وأفنيت من تفكيرك فيها ما أفنيت أنا لوافقتي على هذه الحقيقة ولم تنهني بالأسراف إذ علمتها. وما ذكرت أنا في مقدمة (ثورة الأدب) عن الحضارة التي نعمل جميعاً لبعثها، وهل هي حضارة إسلامية، أم حضارة عربية، واهتمام بعض الطلاب والطالبات الاوربيين برأينا في ذلك وحرصهم على إقناعنا بأنها حضارة عربية، وليست حضارة إسلامية، إذا صدق ظني، ففيه جانب من السياسة يبادل ما فيه من جانب البحث عن الحقيقة العلمية.

من طه الى هيكل

« بقية المنشور على صفحة ٥ »

كرهت ذلك واكتفيت بالإشارة . فإما وانت لاتبج الإشارة ولا ترضى الا التصريح . فأذن لي في ان اضع يدك على طائفة من مواضع الضعف لاني ثورة الادب بل في هذا الكتاب القيم الذي ترد به على في الرسالة اليوم وفي السياسة بعد غد .

فانت تقول في هذا الكتاب « ولست اخفيك » ولعلك توافقني على ان الخير في ان تقول « ولست اخفي عليك » وانت تقول « ويرى انها ما تزال لما نهذا » ولعلك توافقني على ان لما هنا ثقيلة جدا مفسدة للاسلوب لوقوعها هذا الموقع الثاني بين فعلين . وانت تقول « اذ وضعت تحت نظرك هذه العبارة » واطلك توافقني على ان تحت نظرك هذه قريبة جدا الى الابتذال . وانت تقول « لن ارضى لنفسى ان اكون إلا أنا » . ولعلك توافقني على ان الصواب الا اياي .

ومثل هذا كثير ايها الصديق العزيز في هذا الكتاب وفي ثورة الادب . ولعلك ترى ان الخطأ والابتذال شيء ، وان البساطة والايجاز والقوة شيء آخر . وانك تستطيع - ان اردت - ان تكون بسيطاً موجزاً قوياً دون ان تخطئ . او تدنو من الابتذال .

اما بعد فقد اعجبني منك ايها الصديق انك سجلت في كتابك على ثنائي عليك كله تسجيلاً . فقيم كان هذا التسجيل ؟

اخاف انت ان انساه ؟ وكيف انسى ما سجلت المطبعة ؟ اخاف انت ان انكره ؟ فثق بانني قد ائنت عليك صادقاً وما تعودت أن اعطى باليمين وأسترد بالشمال ؟ بعض هذا المكرو بعض هذا الدماء . فالأمر بينك وبينى ارفع من المكرو وأمتن من الدهاء ، وأوضح من ان يحتاج الى التسجيل والتشديد في الحساب .

اما بعد فهل تأذن لي في ملاحظة يسيرة جداً كنت اود لو لم احتج اليها ، ولكن حياة الأدباء في هذه الأيام تضطرن اليها . كم احب للأدباء الا يضيقوا بالنقد وألا يحفلوا بالرد عليه الا ان تدعو الى ذلك حقيقة علمية لا ينبغي اهمالها ، فاذا يعينك ان يحسن رأى الناس او يسوء في أسلوبك ، فان كان هذا يعينك او يؤذك فالحير في ان تجعل هذا سرّاً بينك وبين نفسك لا ان تعلنه الى الناس .

وأنا ارجو ايها الصديق العزيز ان تقبل مني تحية كلها الحب والاعجاب .

طه حسين

اما اني اسرفت متأثراً باشتغالي المتصل بالسياسة في حسن الظن بنا وبحظنا من الخيال وقدرتنا على الانتاج فأحسب صديقي يوافقني على انه اذا زالت عوامل الفتور والضعف مما اشترت اليه في تضاعيف كتابي لما كان فيما قلت شيء من الاسراف . وإذا جاء اليوم الذي ينفسح فيه عندنا ميدان العلم وتزول كل العوائق التي تقف اليوم في سبيله ، والذي تنقرر فيه حرية العاطفة وحرية الحس وحرية الأدب ، والذي يبعث فيه تراث هذا الشرق العظيم ، والذي يكثُر فيه المتعلمون تعليماً صحيحاً منا كثرة تسمح بالانحصر في الأدب والانقطاع لفرع من فروع ، يومئذ يكون القول بقصورنا في الخيال وفي القوة على الانتاج تخيلاً على هذه البلاد وعلى الحقيقة ، هذا إلا ان تكون يا صديقي من الذين يقولون بان الاوربيين ينتمون إلى الجنس الآري ، وهم لذلك ارق منا ونحن ننتمى الى الجنس السامي بالطبع . وما احسبك تقول بهذا او تعتبره حقيقة كما يود بعض العلماء في اوربا اعتباره ، بل احسبك ترى هذه حقيقة سياسية يراد بترويجها تغريب الشرق والقضاء عليه بامن يبق خاضعاً للغرب الى الابد .

واختم رسالتي هذه اليك يا صديقي بشكرك شكراً لاحد له وبان اشير عليك ان تقرأ كثيراً صغيراً كتبه بول جيزل Paul Gsell عقب وفاة اتول فرانس عنوانه Propos France لثري ما ذكر فيه عن مولير وشكسبير وغيرهما من كبار الكتاب وما قاله بعض النقاد فيهم . واذا كنت انت أكبر من هؤلاء النقاد ، وكنت أنا لاشئ إلى جانب هؤلاء الكتاب الذين خلقهم القدر اعلاماً في حياته الانسانية بل في حياة الوجود كله فان فيما قرأت أنا من ذلك ما عزاني عن اسلوبى ، وعن بعض ما أحدث على بحق من هنات أوكد لك أنى سعدت بتبيينك اليها اكثر ما سعدت بشائلك على . افليست الحياة جهاداً متصلاً نحو السكالم ، كل في حدود ما يطيق ، وهل للسكالم سبيل الا المجهود المتصل والتهذيب الدائم لهذا المجهود ، وتشذيب ما يند عن الطريق السوى فيه حتى لا تنساق وراء الشذوذ فضل الطريق السوى . وهذا فضل لك جديد اضيفه الى سابق افضالك على وارجوك ان تعتقد انى دائماً

صديقك الوفي المخلص

محمد حسين هيكل

(خطأ مطبعي) ورد في صفحة ٢٦ (لتكن) و (المظنونة) وصوابهما لتكن والمظنون